مقارنة بين شرحي ابن عقيل والأشموني لألفية ابن مالك

(باب المبني والمعرب أنموذجا)

أ.علي صالح أحمد

كلية الآداب بالجميل . جامعة صبرا ته

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين وهاديا إلى الطريق المستقيم المعلم الأول الذي علم البشرية العلم والدين وجعله هاديا إلى الطريق المستقيم ، اللهم صل عليه وعلى آله ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين .

أما بعد :

ففي مايلي من سطور بحث يحمل عنوان الشروح النحوية وقد اخترنا له شرحين للمقارنة بينهما وهما شرح ابن عقيل والأشموني المسمى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) وقد اخترنا هذا الموضوع نظرا للشهرة التي عرفت بها الألفية بحيث صارت عنوانا للنحو فلا يعرف إلا بها واخترنا الشرحين نظرا لبعض الاختلافات الواردة بينهما في شرح المتن ، وقد قسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث تناول الأول تعريف بأعلام البحث (ابن مالك وابن عقيل والأشموني) وتناول الثاني تعريف بالألفية وبالكتابين (شرح ابن عقيل وشرح الأشموني)عليها .في حين خصص الثالث للمقارنة وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشرحين وطريقة الشرح لدى كل منهما ؛ وذيل البحث بخاتمة وثبت لمصادر البحث التي تم الاعتماد عليها وأشهرها كتاب الأعلام للزركلي ومع المكتبة العربية لعبد الرحمن عطبة بالإضافة لكتب الدراسة وبعض المراجع الأخرى ؛ ومن سالف الذكر أننا عدنا للمصحف الشريف وصحيح البخاري للإشارة لأرقام الآيات وسورها وأرقام الأحاديث التي لم يشر إليها مؤلفي أو شارحي الكتابين .

وإن وفقت في هذا فإن التوفيق من الله وحده وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان والحمد لله دائما وأبدا.

أسباب اختيارالموضوع :

1. . اهتمام النحاة بها جعلنا نسلك الطريق نفسه بالمقارنة بين بعض شروحها .
2. كثرة الشروح على الألفية التي أربت عن سبعين شرحا مما يدل على أهميتها .

3. أهمية شرحي ابن عقيل والأشموني ؛ إذ يعد كل منهما شرحا تعليميا مع اختلافهما في طريقة الشرح جعلتنا نختارهما لبيان الفرق بينهما .

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع في كونه يتناول شرحين من أهم شروح الألفية فابن عقيل طارت شهرته بحيث صارت لا تعرف الألفية والنحو إلا به وكذلك الأشموني الذي شرح الألفية شرحا مفصلا وعرف بكافة مصطلحاتها في مقدمات كل موضوع ونبه على آراء العلماء في المسائل الخلافية على نحو ما سنعرفه في مبحث المقارنة الآتي ؛ فأهمية هذين الشرحين فيهما تكمن أهمية الموضوع .

هدف البحث :

أما هدف البحث فهو بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين شرحي ابن عقيل والأشموني على الألفية ؛فهما وإن اتفقا في شرح الألفية إلا أنهما اختلفا في طريقة الشرح وهدفنا هو بيان أوجه الاختلاف بينهما .

منهج الدراسة :

وقد اعتمدنا المنهج الوصفي الذي يعتمد وصف الموضوع دون تدخل من الباحث بإبداء رأي أو مناقشة مسألة .

المبحث الأول : تعريف بأعلام الدراسة :

1. ابن مالك 600. 672 هـ

أبوعبد الله جمال الدين بن مالك الطائي الشافعي الجياني الأندلسي ، أحد أئمة اللغة ولد في جيان بالأندلس وانتقل إلى دمشق وبها توفي .

من كتبه الكافية الشافية، الألفية ، تسهيل الفوائد،الضرب في معرفة لسان العرب ،سبل المنظوم في النحو المختوم ، لامية الأفعال وعدة الحافظ وعمدة اللافظ ،وإيجازالتعريف ،وشواهد التوضيح ، وإكمال الإعلام بمثلث الكلام ، وتحفة المودودفي المقصور والممدود ومنظومة العروض ، والاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد .[1]

2. ابن عقيل 694 . 769 هـ :

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي بهاء الدين بن عقيل من أئمة النحاة من نسل عقيل بن أبي طالب ولد وتوفي في القاهرة .

كان بعض أسلافه يقيمون في همذان أو آمد ولعلهم انتقلوا من احداهما إلى مصر، فولد بها عبد الله ،فعرفه مترجموه بالهمذاني أو الآمدي.

قال ابن حيان :"ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل "كان مهيبا مترفعا عن غشيان الناس ولايخلو مجلسه من المترددين إليه، كريما كثير العطاء لتلاميذه في لسانه لثغة ولى قضاء الديار المصرية مدة قصيرة ، وعبد الله بم عبد الرحمن المعروف بابن عقيل أول كتبه تيسير الاستعداد لرتبة الاجتهاد من مخطوطات دار الكتب المصرية ، وله الألفية في النحو وقد ترجمت للألمانية وله التعليق الوجيز على الكتاب العزيز ، والجامع النفيس في فقه الشافعية ، والمساعد وهو مخطوط في شرح التسهيل ، وتيسير الاستعداد لرتبة الاجتهاد وهو عبارة عن تلخيص للجامع النفيس .[2]

3. الأشموني (838 – نحو 900 هـ)

علي بن محمد بن عيسى أبوا لحسن نور الدين الأشموني نحوي من فقهاء الشافعية ،أصله من أشمون بمصر ومولده بالقاهرة ولى القضاء بدمياط وصنف شرح ألفية ابن مالك ونظم المنهاج في الفقه وشرحه ونظم جمع الجوامع. [3]

المبحث الثاني :

تعريف بكتب الدراسة :

1 : الألفية :

قبل التعريف بالألفية لابد من معرفة ظهور سبب هذه المتون في هذه الفترة من عمر الدولة العربية الإسلامية ولعل أهم هذه الأسباب انتشار الجهل والتخلف في بلاد العراق والشام في العصر المغولي مما جعل العرب يحاكون عصور الإزدهار في أزمانه السابقة تعبيرا عن الانكسار الحاصل في نفوسهم ، وكذلك يمكن أن يكون التكسب سببا لذلك ؛ إذ عادة مايصاحب الانكسار السياسي سوءا في الأحوال المعيشية مما جعلهم يبحثون عن طرق للتكسب ومنها جمع الأصول النحوية وشرحها. [4]

ألفها ابن مالك الذي سبق التعريف به في المبحث السابق ، وكان قد ألف كتابا شاملا في النحو سماه الشافية الكافية ثم لخصه في أرجوزة ضمت ألف بيت ضمنها جميع قضايا النحو والإعراب بصورة مكثفة ، وذلك لكي يسهل حفظها وتعلمها للدارسين ، وقد طارت شهرة الألفية في الآفاق وأصبحت علما يعرف بها ابن مالك ، وقد ألفت حولها شروح كثيرة زادت عن سبعين شرحا [5] منها : شرح الألفية لابن الناظم ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ، وشرح ابن عقيل وشرح الأشموني على الألفية وسنتعرض لهذين الشرحين بالدراسة والمقارنة .[6]

3 . شرح ابن عقيل على الألفية :

سبق التعريف بابن عقيل في المبحث السابق وسنعرف في مايلي من سطور بكتابه على شرح الألفية والذي يعد من أيسر الشروح وأقربها إلى إفهام المتعلمين . خاصة المبتدئين منهم . .لقد هدف ابن عقيل غلى شرح الألفية شرحا مبسطا يتميز بالوضوح وبقربه من أذهان ناشئة الدارسين دون إخلال بالمحتوى العلمي فيه ، وقد وفق إلى ذلك حتى ذهب بعض العلماء إلى التأكيد بأن ابن عقيل هو الذي أرشد المتعلمين إلى معرفة المراد من الألفية تماما ، وقد اتبع في شرح الألفية طريقا وسطا بين الإسهاب والإيجاز غير المخل ، وقد طبع شرح الألفية لابن عقيل طبعات كثيرة أربت على العشرين بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .[7]

2. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك :

سبق التعريف بأبي الحسن الأشموني في مبحث التراجم والآن سنتعرض بتعريف موجز لكتابه على شرح الألفية المسمى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) والمشهور بشرح الأشموني ، وهذا الشرح يعد من أغنى شروح النحو وأغزرها على الألفية على كثرة ما ألف حولها من شروح .

لقد ضم شرح الأشموني ثروة نحوية ولغوية من أقوال النحاة المتقدمين والنتأخرين وكان له الفضل في حفظ بعض النصوص من الكتب النادرة أوالمفقودة ككتاب الأخفش الأوسط والتذكرة للفارسي والبسيط لابن الحاج. [8]

وطريقته في الشرح تعتمد على إيراد جزء من بيت من الألفية ثم يكر عليه شارحا شرحا مفصلا ويورد الآراء المختلفة حوله ويؤكد ذلك بالشواهد وهو بذلك يخالف بعض شراح الألفية ولاسيما ابن عقيل الذي كان يورد الأبيات بيتا بيتا ثم يشرحه .

وهو في أثناء شرحه لا يغادر أي قضية نحوية أو مشكلة إلا ويبسط فيها القول ، والشواهد في شرح الأشموني كثيرة جدا ومعظمها مما استشهد به العلماء السابقون عليه ، وهو يستشهد بالقرآن وبالحديث وبالشعر وبكلام العرب وخطبها ،وقد كتاب شرح الأشموني عدة طبعات آخرها طبعة دار الكتاب العربي ببيروت في جزئين سنة 1955 م بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .[9]

المبحث الثالث : مقارنة بين شرحي ابن عقيل الأشموني للألفية (باب المعرب والمبني أنوذجا)

أولا : منهج ابن عقيل :

لم يبدأ ابن عقيل في شرحه للألفية بمقدمة يبين فيها منهجه على غرار الأشموني ؛بل بدأ مباشرة بمقدمة الألفية واكتفى بذكرها دون شرح وحافظ على ترتيب أبيات الألفية وفق ترتيب الناظم (ابن مالك) .

وكان حين يبدأ في شرح باب من أبواب النحو يكتب أبيات الباب كاملة كما وردت ثم يشرحها مباشرة دون ذكر مقدمة أو أي تعليق عليها ومثال ذلك قوله في باب المبني والمعرب :

والاسم منه معرب ومبني × لشبه من الحروف مدني[10]

وهنا يبدأ في الشرح مباشرة فلا يذكر تعريف للمبني والمعرب كما فعل الأشموني ،بل يبدأفي شرح الأبيات مباشرة فيقول :يشير إلى أن الاسم ينقسم إلى قسمين :احدهما المعرب وهو ماسلم من شبه الحرف ...ويستطرد حديثه ببيان معنى المبني وفق ما ذكره ابن مالك دون زيادة أو نقصان، على أنه في بعض الأحيان يذكر آراء بعض النحاة كأبي علي الفارسي وابن أبي الربيع [11].

وشرحه للأبيات شرحا تعليميا مبسطا وكان في بعض الأحيان يورد ملخصا في نهاية شرحه للباب ومن ذلك قوله في حديثه عن اسم الفعل " وحاصل ما ذكره المصنف أن المصدر الموضوع موضع الفعل وأسماء الأفعال اشتركا في النيابة مناب الفعل ،لكن المصدر متأثر بالعامل فأعرب لعدم مشابهته الحرف وأسماء الأفعال غير متأثرة بالعامل فبنيت لمشا بهتا الحرف في أنها نائبة عن الفعل وغير متأثرة به "[12]

ومن ذلك أيضا تلخيصه لما ورد في البيتين الأولين من باب المبني والمعرب حيث قال :" وحاصل البيتين أن البناء يكون في ستة أبواب هي المضمرات وأسماء الشرط وأسماء الاستفهام وأسماء الإشارة وأسماء الأفعال والأسماء الموصولة "[13]

ويجدر بنا قبل البدء في كيفية عرضه للشواهد أن نقف على معنى الشاهد لغة واصطلاحا :

جاء في كتاب العين أن الشاهد هو النبئ ص وفي تفسيره ص في قوله تعالى "وشاهد ومشهود ؟البروج أية 3.وهو يوم القيامة وتعني أيضا الحاضر بخلاف الغائب .وقال ابن فارس الشين والهاء والدال: أصل يدل على حضور وإعلام لا يخرج شئ من فروعه على الذي ذكر، والشاهد :اللسان.[14]

وفي الاصطلاح :

إن الشواهد هي الأساس الذي يقوم عليه النحو العربي وأصوله ويستوي فيها الشاذ والقليل والكثير وذلك تبعا لأوجه الخلاف في مسائل النحو وقضاياه .

لقد ارتبط الشاهد بالقاعدة النحوية وارتبط هو بالنحو وأصبح علامة ودليلا على صدق القاعدة النحوية وصحتها ، وهناك فرق بين الشاهد والمثال ؛ فالشاهد إنما سيق لإثبات صحة القاعدة ، أما المثال فيصوغه المؤلف ليوضح به القاعدة .[15]

وقد كان ابن عقيل يستشهد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي وكلام العرب.ومن استشهاده بالقرآن الكريم قوله في حديثه عن إعراب الأفعال الخمسة وجزمها وأنها

تجزم بحذف النون استشهد أولا بقول الله تعالى " فإن لم تفعلوا ولن تفعلو فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين "البقرة 24"

وكذلك في باب المنقوص وظهور علامة النصب عليه استشهد بقوله تعالى :"يا قومنا أجيبوا داعي الله وءأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم " الأحقاف 31"

ومن استشهاده بالشعر قوله في باب الأسماء الستة وجواز إعرابها بالحركات رفعا ونصبا وجرا :

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها[16]

وموضع الشاهد فيه أباها الثالثة ؛إذ إنها مضافة فكان على ما هو معهود من إعراب هذه الأسماء أن يقول أبيها جرا بالياء لكن استشهد به على جواز إعرابها بالحركات المقدرة على الألف وفق بعض لغات العرب .

ومن استشهاده بالحديث قوله في حديثه عن الملحق بجمع المذكر السالم "اللهم اجعلها عليهم سنينا كسني يوسف " [17].

ويذكر أيضا في شرحه الآراء النحوية والخلاف بين النحويين ومن ذلك جواز جمع المذكر المختوم بتاء التأنيث كطلحة وحمزة حيث قال " فلا يقال في طلحة طلحون وأجاز ذلك الكوفيون "[18]

وقد وردت في شرحه للألفية ألفاظ ومصطلحات نحوية لم ترد عند الأشموني ومنها :
محجوج وفاسد والراجح والأصح والمختار ...وكلها لترجيح الآراء النحوية ؛ لأنه كان في كثير من الأحيان يذكر رأيه في المسائل الخلافية ومثال ذلك حديثه عن جمع المؤنث السالم وزعم بعضهم أنه مبني في حالة النصب حيث قال " وهو فاسد ؛إذ لا موجب لبنائه "[19]

ثانيا :شرح الأشموني :

يختلف شرح الأشموني على شرح ابن عقيل لالفية ابن مالك ؛ إذ نجده يبدأ الباب أو الفصل المراد الحديث عنه بمقدمة يشرح فيها بعض المفاهيم ،ففي باب المبني والمعرب على سبيل المثال والذي أخذناه انموذجا للمقارنة بين الشرحين نراه يبدأ بمقدمة يشرح فيها معنى المبني والمعرب ،ويبدأ بتعريفهما لغة فيقول : " المعرب والمبني اسما مفعول مشتقان من الإعراب والبناء ؛فوجب أن يقدم بيان الإعراب والبناء ،ثم يسترسل الحديث فيعرف الإعراب لغة واصطلاحا [20] .

ثم يعرف البناء لغة بقوله " وضع شئ على شئ على صفة يراد بها الثبوت "

ثم يعرفه في الاصطلاح بقوله " هو لزوم آخر الكلمة حركة أو سكونا لغير عامل أو اعتلال "[21]

وبعد ذلك ينتقل إلى الألفية وهو في هذا يختلف عن ابن عقيل ؛فابن عقيل يثبت أبيات الألفية ثم يشرحها في كل باب كما علمنا أثنا الحديث عنه ، أما الأشموني فقد مزج شرحه بالأبيات فنراه يذكر جزءا من البيت ثم يشرحه شرحا وافيا فيقول في هذا الباب مثلا : "

والاسم منه " أي بعضه معرب على الأصل ويسمى متمكنا وبعضه الآخر مبن على خلاف الأصل ويسمى غير متمكن .[22]

ثم يذكر أثناء شرحه بعض التنبيهات التي أكثر منها في شرحه ،فعلى سبيل المثال في هذا الباب يذكر تنبيهين فيقول :قال الشاطبي :تاء في قوله جئتنا موضوعة على حرفين ثانيهما حرف لين وضعا أوليا كما ولا "ثم يستطرد الحديث واردا آراء سيبويه وابن جني .[23]

ويستشهد في حديثه عن المسائل النحوية بالقرآن الكريم والحديث والشعر العربي وأقوال العرب ، ومن استشهاده بالقرآن شرحه عن ملحقات جمع المذكر السالم عضة وعزة وسنة "الذين جعلوا القرآن عضين " الحجر 91كم لبثتم في الأرض عدد سنين " المؤمنون 112"عن اليمين والشمال عزين " المعارج 37".

ويستشهد كذلك بالحديث الشريف ومن ذلك قوله في نفس الباب " اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف "

ويذكر في شرحه كذلك بعض الخلافات النحوية ويستشهد عليها ومن ذلك جواز جمع الكوفيين الصفات المشتركة بين المذكر والمؤنث ومنها كلمة عانس إذ استشهد عليها بقول الشاعر : منا الذي هو ما إن طر شاربه والعانسون ومنا المرد والشيب .

ووجه الشاهد فيه جمع العانسين جمعا سالما مع عدم استيفائه للشروط ولم يرد هذا البيت عند ابن عقيل. ويذكر كذلك العلل والقياس من ذلك حديثه عن المثنى والمجموع في قوله " إن المثنى والمجموع فرعان عن الآحاد والإعراب بالحروف فرعان عن الإعراب بالحركات فجعل الفرع للفرع طلبا للمناسبة .."[24]

أما شواهده الشعرية فلا تكاد تختلف عن شواهد سابقيه مع أنه كان ميالا لإبداء الخلافات والاستشهاد عليها ومن ذلك حديثه عن المثنى وما ألحق به وأنه فيه لغة غير لغة الإعراب

المألوفة بالألف رفعا وبالياء نصبا وجرا وهي لغة لزوم الألف وقد استشهد عليها بقول الشاعر :

فاطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساغا لناباه الشجاع لصمما [25]

وكذلك استشهاده على الشاذ في باب جمع المذكر السالم في الألوان حيث استشهد بقول الشاعر :

فما وجدت نساء بني تميم حلائل أسودين وأحمرين [26]

وكذلك عن الجزم بحذف حرف العلة ؛حيث إنه من المعلوم أن المضارع المعتل الآخر يجزم بحذف حرف العلة كقوله تعالى "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل " الفيل 1" وقد أورد شواهدا ثبت فيها حرف العلة مع الجازم ومن ذلك :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا .

وقد خرج هذا البيت وغيره على أنه ضرورة وقيل بل أشبعت الحركة فنشأ الحرف المجانس لها .[27]

الخاتمة ونتائج البحث :

من خلال ما تم عرضه من المقارنة بين الشرحين نخلص إلى أن كل منهما شرح الألفية التي اختصرها ابن مالك عن الكافية الشافية ولكن اختلفا في طريقة الشرح ؛فابن عقيل كان يثبت الأبيات كما هي ثم يشرحها بينما مزج الأشموني كلامه بمتن الألفية فكان يكتب جزءا من البيت ثم يشرحه ويستشهد عليه .

امتاز شرح ابن عقيل بالإيجاز والاختصار فكان أسلوبه تعليميا خاصة للناشئة بينما كان الإسهاب والتفصيل من سمات شرح الأشموني وإن لم يخل من الأسلوب التعليمي .

ابن عقيل كان يبدأ بشرح أبيات الألفية دون زيادة أو نقص بينما الأشموني كان يبدأ في كل باب بمقدمة يشرح فيها مصطلحات الباب كالمبني والمعرب والنكرة والمعرفة والمبتدأ يوضح كل ذلك لغة واصطلاحا .

اتفق كل منهما في استشهاده بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر وكلام العرب. مع أن ابن عقيل كان أحيانا يخل بهذا الترتيب فيقدم الشعر على القرآن الكريم .

امتاز شرح الأشموني عن ابن عقيل بكثرة التنبيهات التي أكثر منها بشكل مفرط .

كان كل منهما يذكر الخلافات النحوية خاصة بين مدرستي الكوفة والبصرة ويستشهدان عليها من القرآن والشعر العربي .

أما الشواهد فلم يختلفا فيها ؛إذ استشهدا على المسائل النحوية بالأشعار الواردة لدى النحاة السابقين عليهما ولم يختلفا في موضع الشاهد وإن وجد اختلاف في بيت الاستشهاد .على أن الخلافات التي بينهما تكاد تكون اختلافات مدرسية لا تؤثر في أصول النحو وقواعده الأساسية .

امتاز شرح ابن عقيل بورود مصطلحات لم نجدها عند الأشموني كالراجح والصحيح والأصح وهي مصطلحات لترجيح الآراء النحوية .والحمد لله أولا وآخرا

الهوامش:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. الأعلام تأليف خيرالدين بن محمود الزركلي ط 15 . 2002 ج6 ص 233

2. نفسه ص 1

3. .الأعلام ج 4 ص 96

4. تاريخ الأدب العباسي رينوك ركلس ترجمة د صفاء خلوصي مكتبة بغداد 1967ص 265

5 مع المكتبة العربية عبدالرحمن عطبة دارالأوزاغي للطباعة والنشر ط3 1986ص 286. 287

6. الأعلام ج5 ص 10.

7. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تح محمد محيي الدين عبدالحميد دارالتراث ط 20 ج1 ص 28

8مع المكتبة العربية ص 288 . وما بعدها

9. نفسه ص 33

10. شرح ابن عقيل ص28

11. ابن عقيل ص 80

12. معجم العين الخليل بن أحمد الفراهيدي تح مهدي المحزومي وآخر مادة شهد ج3 ص 233

13. كشاف اصطلاحات الفنون التهانوي دار الكتب بيروت دون تاريخ ج3 ص 738

14- ابن عقيل ص51 . والبيت لأبي النجم العجلي وقيل لرؤبة بن العجاج .

15. صحيح البخاري أبوعبدالله محمدبن إسماعيل البخاري تح مجموعة من العلماء ط بولاق 1311هـ ج8 ص 44 حديث رقم 6200

16- ابن عقيل ص60

17. ابن عقيل ص70

18. شرح الأشمونيعلى ألفية ابن مالك تح محمد مجيي الدين عبد الحميد دارالكتاب العربي بيروت ج1ص 19

19. نفسه ص 19-20

20نفسه ص20

21. نفسه ص 34.

22. نفسه ص 32

23 -نفسه ص 35

24نفسه ص 33

25. نفسه ص 33

26نفسه ص 35

27نفسه ص 38